ملاك موت بلا وطن

أشعار

حميد عقبي

منشورات فوروم كنايه للحوار وتبادل الثقافات

كل الحقوق محفوظة

كتاب كناية ™©

A series of books overseen by Hikmet Elhaj
All rights reserved
KINAYA BOOKS ™
Copyright © 2022
www.metonymykinaya.com
metonymykinaya@gmail.com
The views and opinions expressed by the author do not represent the views, beliefs or opinions of KINAYA Enterprises and its employees.

كتاب كناية

سلسلة كتب ومطبوعات ورقية ورقمية تصدر عن مؤسسة ميتونومي كناية تحت
إشراف الشاعر حكمت الحاج
مشروع ثقافي غير ربحي يهدف الى إيصال الكتاب العربي الى العالم
صفحة كناية على فيسبووك:

www.facebook.com/kinayabooks

حميد عقبي: مخرج وكاتب سينمائي ومسرحي وفنان تشكيلي من اليمن يقيم في فرنسا. صدر له كتاب باللغة الفرنسية بعنوان مدخل لفهم السينما الشعرية. أخرج وانتج ثمانية أفلام سينمائية قصيرة شاركت في عديد المهرجانات العربية والأوروبية. يرأس حاليا ومنذ أربع سنوات المنتدى العربي الأوروبي للسينما والمسرح بباريس.

إلى أبي الذي لم يكن شاعرا لكنه علمني
الخيال

***يعجز** المرء أن يكتب عن نفسه ومنتجه الشعري والأدبي والفني، هذا النص المفتوح والذي كثيرا ما أعيد قراءته يكاد يلهمني نصا مسرحيا. إني أحسّه يكاد يتفجر مسرحا. وأعتقد أنني أقرب إلى السينما والمسرح من بقية أنشطتي كالشعر وكتابة القصة والرسم إذ إنها تكاد أن تكون انعكاسات أو أشكالا أخرى لرغباتي السينمائية والمسرحية، ولعل هذا ما جعلني أتأخر كثيرا في نشر منتجي الشعري. وهنا أشكر الشاعر والناقد الأستاذ حكمت الحاج والأعزاء في سلسلة منشورات كناية بترحيبهم بنشر هذا المنتج وأشكر الصديق الشاعر صبري يوسف لجهده في التصحيح اللغوي.*

حميد عقبي

أظن أني شاعر
أشربُ وأشربُ وأشربُ
أوهام مظلمة ليست واقعيّة
لم أكن شاعراً يوماً وربّما لن أكون
وحدها العشيقة تدفعني أن أرتكب هذا الإثم
تنفخ في خيالاتي بعض الصُّور
والشَّوق يجعلني أتمادى
لستُ إلّا طفلاً مجنوناً
يتخيّل أكثر ممّا يجب
يرى ما لا يجب رؤيته
يرى وجه الموت
رغم ما يلبسه الموت من أقنعة
يسمع خطواته تأتي
تقتربُ
ويده يمدُّها الآن
لا مسافات بين أصابعه ورقبتي
لا خارطة زمانيّة أو مكانيّة لمعرفة بقيّة التَّفاصيل
أريدُ أن أهمس في شفتيها بكلمةِ شوق
ثمَّ تكون عناقات اللّقاء والوداع معاً.

لم تعد الفتيات يلبسن حمَّالاتِ الصّدر
يتفاخر أغلبهن بحلمات الثَّدي المثيرة
في الشّارعِ
في الحديقةِ
تنبتُ الزُّهور
يتراقصْنَ
وأنا .. تضربُ رأسي مطارق الصّقيع
أقول لها: في ليلة هالوين ، يلبس الموتُ زيًّاً أنيقاً
تُغنِّي ساحرات مكبث
تعرجُ ناقة الله بعد أن تعثّرت بلُغم أرضي
والبحر لا يمتلك مظلّة تقيه من القصفِ
السَّماء لم تفتح بابها
الشّجرُ لا يمتلك سجّادة للصلاة
تبتلع الأرض الجثث والأرواح
القصيدة لم تعُدْ تمتلك عنصر الإدهاش
مدٌّ وجزرٌ للريحِ
تارةً تنعشنا وتارةً تقذفُ بالبردِ
كأس وأحد بعد الظهيرة
ثمّ يأتي النَّبيذ الأحمر في ليالي الرّعشة
لعلّ أشياء قد تتغيَّر
مثلاً أن تتبدّل قوانين الجاذبيّة الأرضيّة
أرواحنا تشتاق أن تُنهي رحلة الضّياع
بعد الموت نحتاجُ إلى سمواتٍ مفتوحةٍ.

في لحظةٍ درامية تتراكضُ خيولُ الرّيح
تشهقُ الأشجارُ
ثمَّ تستجيبُ للإيقاعِ بالرَّقصِ
هناكَ أدخنة سامّة
ترتجفُ قلوب ما بقي من نباتات يابسة
ثمَّ جمود وسكون
تأتي الملائكة متأخّرة
بعض الأجساد تكون قد تعفَّنت
كلُّ شيءٍ يحدث بقسوة في بلادِ الحرب
لكن أرواحنا ماتزال قادرة على العشقِ
وكتابة أغاني تقدّسُ الحبَّ و الله.

.....

وأنا أهمسُ للريحِ
تمتمات غزليّة من أجلِ العشيقةِ
قنينة واحدة من النّبيذ قد لا تكفي
وأنا من عشَّاقِ بوردو
نبيذها ليس كمثله شيء
كأنّه من نهرِ الفردوسِ
بعصاك يا موسى ليتك شققت البحر وزرعت حديقة عنب
وليت الحوت لم يأكل أمنياتنا
ليت حمار عزير يعود
تضربُ سياط البرد أكتاف الخريف
سموات متعبة
ملائكة متعبة
شياطين متعبة
لا أحد يدَّعي أنّه بخير
حتّى الموتُ يبدو متعباً.

.....

تداعبُ الرِّيحُ على غيرِ عادتها صفحات الماء
طمعاً بالرقصِ
طمعاً بأهزوجةٍ صباحيَّةٍ
من النَّافذة يلفحني البرد
ملمس فنجان القهوة يصبح صاقعاً
تتدافع ما أنفثه من دخان
ترتعش سيجارتي الأولى
أتوهَّمُ صوت الحبيبة تدعوني العودة إلى الدِّفء
الأصفرُ يبدو مبتلَّاً
تغريدة حمامة تدعو عشيقها لعناقاتٍ حارّة
عدت إلى الدّاخلِ
لم أجد سوى بقايا ذكريات مندثرة.

.....

وأنا أشربُ لوحدي بحاجة لمزيد من الكحولِ والتَّبغِ
تستيقظُ خيالاتي متأخِّرة
تبدو كسولة
نشعرُ بالموتِ ونستدعي كل الذّكريات
سيتوقّف كل شيء في لحظة
لن نقدر بعد ذلك على رفعِ الكأس
أو إشعال السّيجارة
أو الهمس في أذن العشيقة
تعالي الآن قبل أن يحدث هذا.

.....

سيملأ اللّيلُ قلبي بالسُّكونِ
ألوان الأمواج باهتة .. لا تبدو ثمّة زرقة واضحة
أظنُّ عند الصَّباحِ سوف ينقشع السَّواد
أضع كفّي على زجاج النَّافذة الباردة
أسعلُ سعلةً خفيفةً
الضَّبابُ يعلو ويقتربُ منّي أكثر وأكثر
يستعمرُ الكثير من أجزاء وطني الحزين
قلتُ للحبيبةِ تعالي إلى رقصة سواء بيننا
نستمع إلى الموسيقى
أو نشاهد فيلماً أحمقاً
يمكننا أن نرتكب مداعبات كثيرة ونحن لا نفعل شيئاً
يعزف المطر ويصفع النَّوافذ والسُّقوف
هنالك الوجوه شاخصة
ترجو أبواب السَّماء المغلقة
السَّماءُ الَّتي ابتعدت وتبتعدُ منذُ أوَّل ليلة حرب
حيرة وملل
الموتُ لا يغمضُ عينيه
يمتلكُ الكثير من الأدوات
نظارات ليليّة ومظلّات ومعاطف ومصابيح يدوية
لا أشعرُ بالبردِ وأنا أهمس لكِ بكلمات وقحة
وأنا أسمع أنفاسك
ويدكِ تستنهضُ ما يجب ألا ينام.

.....

لستُ ضليعاً في اللُّغةِ والبلاغةِ
وأنا أحض العشيقة أن تنتبه
إنّي أعشقها
أو أغامر بالحديث إلى الموت
الَّذي يتقنُ كلَّ اللُّغات تقريباً
العشيقةُ لا تهتمُّ كثيراً بالنّحوِ والصرفِ والأوزانِ
يبتسمُ الموتُ عندما يسمعُ لهجتي
الَّتي تغلب عليها البغداديّة والتّهاميّة اليمنيّة
أو أُدخل كلمة فرنسيّة دون قصد
عن طريقِ الخطأ كانت الحرب
وكل الحروب هفوات أنانيّة
لكنَّ الحرب هي بيتُ الموتِ الواسع
غابته المستديرة
لا يملك أحداً منّا الخروج
كذلك العشقُ حديقة من طبقات
مدرّجات تعانقُ السّماءَ
تصافحُ البحر
تشهقُ أحلاماً
كذلك عند الموتِ
في لحظةٍ حاسمةٍ ندركُ الماضي والحاضر
ترى ما فاتنا من أحلامِ اليقظة والمنام
ما لم تحلمه أو نتخيَّله
نولدُ ولادةً حقيقيّةً
عندما نعشقُ وعندما نموتُ.
.....

خلق الله الموت ونورين لهذا الكون
لكن نور النهار قد يكون خادعاً ومملَّاً إن طال
لليل جمالهُ وقدرتهُ على انعاش أحلامنا
اللَّيلُ والنّهارُ، الظّلمةُ والنُّورُ
هي أشياءٌ منفصلة
قد تدورُ المعاركُ بينها
في زمنِ الحربِ قد تختفي هذه الأشياء
أو يصعبُ أن نميّزها
قد لا تأتي متتاليةً أو بشكل منطقي
مثلاً قد يكون اللّيلُ ملتهباً بالأصفر
تسودُ النّهارُ ظلمةً دامسةً.

.....

يغسلُ المطرُ حتّى السَّماء
وأجنحةُ الرّيحِ تصبحُ مبلَّلةً ومعطفي
الأشجارُ المغتسلةُ بالمطرِ تزهرُ بالرّقصِ
تنبعثُ روائح الجبل والبحر
يتعانقان معاً
أنا لا أخذُ مظلّةً لا في الصَّيف ولا الشِّتاءِ
ولا في أيّ فصلٍ من فصولِ السَّنةِ
يروقُ لي أن تغتسلَ جبهتي بحبَّاتِ الماءِ الباردِ
هي تبتسمُ في انتظاري في محطَّةِ الحافلاتِ
تبدو ساقيها المبتلَة كأنّها غطسَتْ في لجّةِ الماءِ السليماني
ذلك الصَّرحُ الممردُ الخادعُ
هنا الأرضُ لا تُزورُ القيعانَ الصّغيرةَ
في بلادي البعيدة لم يزرْها المطرُ منذُ سنواتِ الحربِ
جفَّتْ أباريقُ الجدَّاتِ المصلّياتِ
هنالك الجميلات يشتقن إلى المشاقر العطرة
وأن يصدحُ المغنّي بكلماتِ الغزلِ وليسَ النّواح
لا لجّة هناك ولا جنود سليمان يرمّمون خرابات الحرب
والحوتُ يُغيّرُ مسارَهُ
ولن يقذفَ يونس تحت شجرة اليقطين
لا نبي يمكنه أن يباركَ التّرابَ الحزين.
.....

هل لملاكِ الموتِ وطنٌ؟
هل لهُ صديقة أو عشيقة؟
أتظنُّون أنَّهُ سعيدٌ في مهنتِهِ؟
وجدْته ذات مرّة شاردَ الذهنِ ومهموماً
سألته عن هوايته وأين يقضي عطلاته ؟
كانت الشَّمسُ تتدحرجُ بهدوءٍ إلى قاعِ عالم آخر
والقمر ما يزال يلبسُ معطفه الشتوي
يرتعدُ من هذه المحادثة
همست في أُذن الفراغ
ليبلغ العشيقة أنّي بخير
كنتُ أُجري مجرد حوارٍ مع موظّفٍ وليس قاتل
قلت لها لا داعي أن نكرهَهُ
يبدو لطيفاً ويعشقُ الورودَ.

.....

مرت سبع ليالي قاسية
لم تتحدّثْ إلي
لم أتحدَّثْ إليها
وحده وجه الموت بعدّةِ أقنعة
يتحدَّثُ إليَّ
يحفظُ ما أكتبُ عنه
قال لي:- أنا ملاك رحيم
قلتُ له :- لماذا تأخذ الأطفال الّذين يحبُّون الله ؟
قال لي :- كل ليلة يخلق الله ألف معراج
للأطفالِ والشّعراءِ والعشَّاقِ والجوعى الفقراءِ
وأنَّ اللهَ بنى سبعةَ جبالٍ شاهقة لهم في الجنّة
لم أكُنْ مخموراً بما فيه الكفاية
لم أكُنْ فاقداً للوعي
أحاولُ تصديقَ نفسي
أحلامي
هذياناتي المرعبة.

.....

الشُّعراء خلفاء الأطفال المجانين
كثيراً ما يطرحون أسئلة حولَ الموتِ
عندما يسافرون يدركون أنَّ السَّماءَ شاسعةٌ
لكنّها ربّما قريبة في بعضِ الأحيانِ
أنا واحدٌ من الأطفالِ المجانين ولستُ شاعراً
كلَّما صعدتُ جبلاً قصيراً
أمسكُ بذيلِ غيمة صغيرة
من الأسفلِ تبدو الغيومُ كأنّها مصنوعة من مادّة مختلفة
سمعت أنَّ ملاكا نسيتُ أسمهُ الآن
المهم هو من يصنعُ الغيومَ والسُّحبَ
أصبحَ هرماً ربّما؟
قلتُ للعشيقةِ أنتِ مصنوعة من غيومٍ نقيّةٍ
ممزوجةٍ بخيالاتِ القمرِ
أمّا أنا فربّما من طينة قريتي
كانت خضراء تُغني
أما الآن لا يتحرّكُ أي شيء فيها
إلّا أمواج البحر المالح .. يبعد عنها عشرة كيلو مترا
أشعرُ بالملحِ يتململ في جسدي
لا أمتلكُ قدرات خارقة ولا خيالات شعريّة
لذلك ربّما المسافات بيننا جامدة
توجدُ أشياء غير طبيعيّة
أفكّرِ بالموتِ وأتمنّى نهاية عادية وغير مفجعة
الآن كلانا ميتان
وسيكونُ لكل واحد قبره الخاص ونعيهُ الخاص .
.....

صديقان
أنا والموت
نتقاربُ أكثر كلّما تقدَّمتُ خطوةَ عشقٍ
أسمعُ صوته في ثنايا القصائد
ضحكاته في لحظاتِ السُّكونِ
حيثُ لا حراك للريحِ أو في حالِ غفوتها
أسكبُ الأزرقَ على لوحتي البكرِ
تمتصُّهُ في نهمٍ
ينفجرُ الصَّباح بين أصابعِ الظّلمةِ
يظلُّ يغمضُ جفنيه إلى وقتِ الضُّحى
وبلادي الغارقة في الغيابِ
شمسُها لا تبدو بخير
ولا السَّماء ذلك السَّقف البهيج
الحربُ يا صديقتي
يصلُ صداها إلى دواخلي
تجعلني لا أخذ الخطوة التَّالية نحوكِ
تزدادُ حيرتنا
حلمُ العناقات يبتعدُ.

.....

وأنا في طريقي إلى الحانةِ
ثمَّة أشجار اختفت
وأخرى جفّت تربتها
يأتي الخريفُ مبكّراً
لكن الأصفر يغيبُ
ثمَّة جفاف وقسوة رغم كل هذا المطر المتدفّق
السَّماءُ رماديّة والكثيرُ من الثقوبِ ممزوجةٌ بالسَّوادِ
والكثيرُ من الفراغاتِ بلا لونٍ ولا ضوءٍ
لا جديد من الحبيبة
تجمَّدت أحاسيسها
لا تتلقَّى كلماتي كما ينبغي
أنا أيضا لم أكلمها ولم أكتبْ إليها
تموت الورودُ وكذلك الأحاسيسُ والأشجارُ
الأرصفةُ أيضاً
لا أشعرُ بالخوفِ من الموتِ
لا أشعرُ بقسوةِ الطَّقسِ
أخافُ البردَ
أرتعدُ منه فقطاً.

.....

إنّه المساءُ
يهرولُ
يأتي باكراً
أحتارُ في نوعيّةِ النَّبيذِ الّذي سأختارُهُ
نوعيّةِ الأجبانِ الّتي ستكونُ على الطَّاولة
الأصعبُ من ذلك سؤالُ القصيدةِ
هل سيحرّكُ النّبيذَ والتّبغَ خيالاتي المرتبكة ؟
سيأتي طيفُها كالعادةِ
ربّما تبتسمُ وتقدّمُ رقصةً مغريةً
ربَّما يكون مزاجها مكدَّراً
ربَّما لن تثورَ الرّغبات
لم تصارحني إن كانت تشتهي جسدي وأشياء أكثر
اللَّيلُ خيمةٌ باردةٌ
كلُّ شيءٍ في الخارجِ رطبٌ ومبلَّلٌ
كأنَّها تمطرُ على قلبي
دقَّاته لا تبدو مسموعةً
ربّما بسببِ ضجيجِ الرّيحِ
يفرشُ الصَّمتُ أجنحتَهُ
أنتظرُ دقَّةَ البابِ العناقات.
.....

كأنّها لا تفقهُ شيئاً في العشقِ
أو هي لا تفهمُ ما أكتبُ
المكانُ مظلمٌ ولا أستطيع التَّنفُّسَ
لستُ السَّببَ
ليس أنا
الأمكنةُ هنا مملّةٌ
ما الّذي أُريده ؟
لا شيء يسيرُ على مايرام
العشّاق تجدهم في ميادين الهذيان
تحتَ المطرِ والثَّلجِ
يلوّحونَ للريحِ ويعانقونَ السّحابَ
لا تتشابهُ خطواتهم نحوَ الموتِ
لم يمُتْ أحدٌ من أصدقائي الَّذين يسرفون في التَّدخين
لم يمُتْ أحداً من الّذين أعرفهم ويسرفون في الشّرب
لكن العشّاق يتساقطون
واحداً تلوَ الاخر
أعلمُ أنّي في دفتره الحالي
في صفحة قريبة
مع ذلك أجازفُ بخوضِ مغامرة عشق.
.....

اذهبي إلى نافذتك
افتحيها على مصراعيها
يهطلُ المطرُ الآن .. أليسَ كذلك؟
تتناثرُ بعض حبّات البردِ على الرَّصيفِ
تلوحُ الرّيحُ بأذرعها في كاملِ نشوتِها
أنا لا أفعلُ شيئاً
فقط أقفُ كالمعتوهِ
أنتِ أكثرُ شجاعةً لأنّكِ تفتحينَ النّافذةَ
أنا أعودُ إلى قنينتي
كأساً تلوَ كأسٍ
وسيجارةً تلوَ سيجارةٍ
كلمةً تلو كلمةٍ
أحاولُ تجميعَ ووصفَ ما يحدثُ
أحاولُ أن أقولَ لك كلمة عشق
أو أرسمَ قلباً لا يخافُ الموتَ
لا تقلقُهُ الحربَ
ينسى البكاءَ ويحنُّ لعناقاتٍ حقيقيّةٍ وليستْ متخيّلة.

.....

سأكتبُ إليها بعضَ الكلماتِ والسُّطورِ
بعدَ ساعةٍ من الكأسِ الأخيرةِ
تناولتُ بعضَ أقداحِ الشَّاي
أشعرُ بالتَّوازنِ نوعاً ما
رغبتي إلى التَّبغ تزدادُ شراهةً
رغبتي إلى شفتيها
إلى مداعباتٍ وقحة
إلى أفعالٍ لا نفصحُ عنها لا أنا ولا هي.

.....

سأقول لها : أعشقُكِ
يا ترى ماذا ستردُّ؟
طيفها يظهرُ لي من الكأسِ الأوَّلِ
يظلُّ معي إلى الكأسِ الأخيرِ
سأقولُ لها : أهواكِ
يا ترى هل تبتسمُ وترسلُ لي قلباً أحمرَ؟
أمْ أنّها ستغلقُ هاتفها إلى الأبد.
وأنا أفكّرُ فيها زارني ملك الموت
أخبرني أنّي في صفحته التّالية
لم أعرف تفاصيل كثيرة
لم يوضِّح لي ما معنى أنّي في صفحته التّالية
أهي لعبة من ألاعيبِهِ ومزحاتِهِ
أم أنّهُ جاد؟

.....

لا يهمُّ أن أكونَ شاباً في العشرينات
لا تهمُّني كثيراً فراق الثّلاثيناتِ
ليسَ من العيبِ أن نكُونَ في الأربعيناتِ
لا يهمُّ كثيراً أن يسقطَ المطرُ طوالَ اليومِ واللّيلةِ
الجميلُ أنَّ الكثيرَ من الطُّيورِ تحلِّقُ في السَّماءِ
يصلُ صوتُها وبهجتُها إلى روَّادِ الحاناتِ المسقوفةِ
لغةُ الطُّيورِ هي أصدقُ اللُّغاتِ
لغتُنا نحنُ أبناءُ البشرِ مصابةٌ بتشوُّهاتٍ مفجعةٍ
في القواميسِ يختلفون بين معنى الحبِّ والعشقِ
بعضهم يريده صفة مدنيّة
أو إجازة دينيّة
تبيحُ لنا أن نعشقَ
كنّا صبياناً مخيفينَ
نسألُ ونسألُ دونَ توقُّفٍ
نتحمَّلُ العقابَ ثمَّ نعودُ ونتخيَّلُ أسئلةً أخرى
قلتُ لها
اعد لي فراشاً من القشِّ على أرضيّتِكِ
ما لم سأذهب إلى أرضٍ أخرى
حيثُ البردُ والصَّقيعُ والثُّلوجُ القاسية
لا أعرفُ إلى أينَ ساذهبُ ؟
إلى أيِّ مدى تساعدُني قدماي على الهروبِ
من يُخفي عاشقاً مبتلَّاً بخيالاتٍ مجنونةٍ؟
من يعيدُني إلى صوابي ؟
يصحِّح ما أكتبُهُ إليكِ لغويّاً ويضعُ التّنقيطات اللّازمة.
.....

أن تكونَ عاشقاً
معنى ذلك أن تنتظرَ
تنتظرَ صوتَ الحبيبةِ النَّاعم
الحلمُ بالقبلاتِ
العناقات وما يتلوها من أفعال شجاعة
أن تكونَ عاشقاً
يعني
ربّما ستكونُ شاعراً
لن تكفيكَ ثلاثةَ كؤوسٍ
لن تُصابَ بدوارِ الخمرِ ولا لدغتهِ الأولى
تقتربُ من الموتِ سبع خطوات
تتحدَّثُ إليهِ بشجاعةٍ
تعرفُ كل أقنعته
وبعض عاداته
تخافُ الصَّدمة
أن تنكرَكَ العشيقةُ ذاتَ صباحٍ
أو ترسلَ إليكَ رسالةً قصيرةً
تقول : لا تزعجني .
قبل أنً تكونَ عاشقاً
ازرع شجرة في أرضٍ أمينةٍ
تأكَّد أنَّ لا حرب ستحرقُها غداً.

.....

قال صديقي :- انتهت ثمان سنون من الحرب
وأقبلت ثمان من الهدنِ
ماذا يعني ذلك؟
هل ستتوقَّف شظايا النّجومِ المنهارةِ ؟
هل ستستعيدُ السَّماءُ عافيتها؟
ربّما تُسرع الملائكة بترميمِ رخوة سقف السّماء الدنياء؟
أيعني هذا ألّا تُمطرُ الشُّهبُ الدّاكنةُ تلكَ الحرائق ؟
هل يستعيدُ الموتُ بذلته الرّسميّة ؟
كان قبلَ الحربِ يطرقُ الأبوابَ بلطفٍ
يسبقُهُ عطرُهُ الّذي يهبُّ كنسماتٍ طريّةٍ
يأخذُ الأرواحَ بلطفٍ
ينتظرُ أن نفعلَ الطُّقوسَ الشَّعبيّةَ وقتَ الاحتضارِ
وقتَ الجنازةِ
وتكونُ تهاليل وصلوات عندَ القبرِ
وبعد ذلك حكايات وقصص وخرافات
بعد الموتِ نعودُ للحياة والعشق والأغاني
لم يكُن الموت مشكلة
كان حكايةً من الحكاياتِ
ما طقوسُ الموتِ في زمنِ الهدنةِ؟
أهو موتٌ باردٌ ؟
يبدو أنّنا بحاجة لفعلٍ درامي
لشيءٍ من الحياةِ
أن يتخلّى الموت عن حصانِهِ وعربته وعصاه
أن يكُونَ كرجلِ الثّلجِ
ينفثُ ريحاً جامدةً
تتجمّدُ أصابعُ القدمين أولاً

ثمّ تسري الرّطوبةُ في الجسدِ
ينشفُ الحلقُ كمَنْ يبتلع حجرة ملتهبة
إنّه موت قاس
نهاية مؤلمة
كضربةٍ موسيقيّةٍ صادمةٍ
مونتاج غير متواز ولا منطقي
صور مشتّتة وغير مترابطة
وأنا ثملٌ للغايةِ
أكتبُ لها قصيدةً مبعثرةً
وأنا العاشقُ إلى الشّمالة
قلبي لا ينبضُ كما ينبغي
يدي ترتعشُ
يسقطُ الكأسُ
تسقطُ من يدي سيجارتي الأخيرة
أشتهي أنفاساً من التّبغ
اللّيل تُشرّدُهُ الوساوسُ
خيالاتي
مريضة
محدودة
كلماتي تستحقُّ الحرقَ
في انتظارِ الفجرِ
شروقُ الشَّمسِ يأتي من فخذِ السَّماءِ
يتدحرج الضَّوء
ككرةِ ملحٍ على عنقِ الموجِ.
.....

عادة تكونُ ليالي الخريفِ ممطرةً
تكونُ السَّماءُ غير واضحة تماماً
والأرضُ أكثرُ رطوبةً
لا نرى في الأفقِ أشياءَ كثيرة
سأشتري هذا النَّوعَ من النَّبيذِ في المرّاتِ القادمة
بوردو لكنّهُ مختلفٌ ومعطَّرٌ
عادةً لا أثمل
لكن وجهها يظهرُ لي حتى وأنا أتناولُ كأس الشَّاي
أو حتّى القرفة
أتجنَّبُ بعض الأفعال كي أكون متَّزِناً
خطواتي متمايلة
رأسي مدوّر لكنّه يأخذ شكل مكعّب
كيف أسير برأس مكعّب ؟
هناك من يحرِّمُ العشقَ والخمرَ
هناك من لا يرى الموتَ وهو يسيرُ تحتَ مظلّتهِ الشتويّة
متى سأكونُ بجوارِها ؟
ربّما تكون أحضانها هي الإجابات
ربّما قنينة أخرى هي الحل
وأعودُ أنا .
.....

بعد جرعاتٍ من النّبيذِ يصبحُ قلبي عطراً
بعدَ الكأسِ الأوَّلِ بدأت تتورَّدُ كلمات في فمي
تصلحُ أن تكونَ قصيدةً
بعدَ الكأسِ الثّاني
بدأتُ أشعرُ بخفَّةِ جسدي
يمكنني أن أنتقلَ إليها كي أنال قبلة
لِمَ لا ؟!
ليكن الفعل أكثر شجاعة
عناق أو أكثر من ذلك
في طريقي إليها رأيتُ الموتَ
كان متوَّجاً بقبعةٍ صيفيّةٍ
إنّهُ الخريفُ فلماذا أختار هذا الزّي؟
إنّها الرِّيح تصفرُ وتغني
جسدي يزدادُ برودةً
كأنّي ثملت مبكراً بعدَ الكأسِ الثّاني
ليسَ من عاداتي أن أثمل بثلاثةِ كؤوسٍ
ربّما يكونُ الكأس الرّابع منقذي
وأعودُ إلى حيث أنا
نقطة البداية
وأشعل سيجارتي
أنفثُ دخانها إلى رحمِ السَّماءِ
أحاول أن الملمَ كل هذهِ الفوضى
أعودُ شخصاً عاديَّاً جدَّاً
لا يفقهُ معنى العشقِ.
.....

تتمرَّدُ القصيدةُ على المعنى والتَّأويلِ
تركضُ كفتاةٍ مراهقةٍ عاريةٍ في غابةٍ معزولةٍ
تسبحُ مع البجعِ وتحلِّقُ كالطُّيورِ
وحدَهُ العاشقُ لا يمكنه أن يكونَ حراً
قد لا تفهمُ العشيقةُ ما يقولُهُ شعراً
وحدَهُ الشَّاعرُ لا يمكنُ أن يكونَ أسيراً
للريحِ تسعةُ أجنحةٍ
للمطرَ سلالمُ يصعبُ رويتها
وللسماءِ إحدى عشر نافذةٍ
للقلبِ سطحٌ واحدٌ وبابٌ واحدٌ ولونٌ واحدٌ
في ليالي الشِّتاءِ أكونُ أكثر شاعريّةً
تثورُ الرّغبةُ
أشتهي شفتيها الرّطبة
الجسدُ المشتعلُ بالثَّورةِ
رأسي يحدّقُ من النَّافذةِ
في انتظارِ خطواتِ العاصفة
كؤوس ولحظات حميميّة
بعيداً عن تفاصيل ما تحويه البطاقات المدنية
أنا الطّفلُ المجنونُ.

.....

أتذكَّرُ جيّداً أن عيناي حاولتْ أن تلمَّ بالكثيرِ من أنوثتِكِ
ماتزالُ تلك الحوارات بيننا تدورُ في رأسي
وضجيجُ محطّات المترو
الأقداحُ الأولى الّتي شربناها لم تلعبْ دوراً محفّزاً
كان علينا أن نتمادى أكثر
وربّما علينا أن نتمادى في العناقاتِ القادمة
تنبتُ الزَّهراتُ في قلوبِ العشَّاقِ
وقد تتحوَّل إلى أشواكٍ بعدَ الفراقِ
أتلعثمُ في كلِّ محادثةٍ هاتفيّةٍ
أفرُّ إلى القصيدةِ
أتذكَّرُ وجعَ من ماتوا عشَّاقاً
مَن ماتوا في ليالي الحربِ المشرقةِ بالحمرةِ الطَّاغيةِ
مَنْ ماتوا من الخمرةِ المغشوشةِ
مَنْ ماتوا قبلِ العناقاتِ والرَّقصِ
من قتلهم الجوعَ
ومن ظلّوا أحياء أموت لا يعشقون.

.....

أهي الآلهة
أم الشّياطين
من خلق الحرب وأبدع في جعلها خراباً مؤلماً ؟
الأساطيرُ ليست كذباً
جاءَ فيها
إنَّ الكثيرَ من الآلهةِ تلذَّذتْ لحريقِ المدنِ العامرة
وأنّها خلقت الجدري والطَّاعون أيضاً
وأنَّ بعضَ الشَّياطينِ يوسوسونَ لنا كي نعشقَ
كي نقول شعراً أو نتخيل اهزوجة
أو ننحتَ تمثالاً لامراةٍ جميلةٍ عاريةٍ فتكونُ ربَّاً
يمنحُ النّاسُ الحلمَ والأملَ
لماذا أنا مرهقٌ لهذهِ الدَّرجة؟
العشقُ ليسَ معركةً
ولا صفقةً
لا يشترطُ أن نكونَ مُلمِّين بعلمِ الحسابِ
الكثيرُ من القصصِ الغراميّةِ قد لا تكتملُ
قد تكونُ نهايتها سريعة
الحربُ فقط يطولُ عمرها لسنوات
تتعدَّد فصولها
تصبحُ تاريخاً وحكايات.

.....

للوردة أوردة ودم يتدفّق
قلب ينبض
يعلو رأسها
تنظرُ إلى عشّاقٍ يتبادلون القبلات
تهمسُ بأغنيةٍ
تثيرُ الكثيرَ من الرّغباتِ المحظورةِ
قلت للعشيقة : أتسمعين همساً خفيّاً ؟
ظننتُ أنَّ ردةَ الفعلِ ستكونُ عناقاً أو قبلةً
ابرقت السَّماء بوميضٍ
تغيَّرَ المشهدُ في أقلِّ من ثانيةٍ
لكنَّ المطر لم يأتِ.

.....

لا أمتلكُ الكثير من الفلسفةِ ولا العقلِ ولا الدّينِ
لا أمتلكُ خريطةً لبلادي المرهقةِ هناكَ
ولا صورةَ الأصدقاءِ الَّذين ماتوا في مناسباتٍ عديدةٍ
أغلبهم أكلتهم الحرب
ربّما أهلكتهم إنْ صحَّ التَّعبير
لا أستطيعُ أن أُعبِّرَ بكلماتٍ منمَّقة
حتّى العشيقة ربّما تحتارُ في فهمي
تارةً أقول لها : أحنُّ إلى عناقاتٍ حارَّةٍ لا تنتهي
وتارةً أقول : إنّي متعبٌ بسببِ الحربِ هناك
هزّت رأسها .. ذات مرّة
في نهايةِ اتصالٍ هاتفي قلت لها: حبيبة
ربّما لم تسمع الكلمة الأخيرة من المكالمة
وربّما أنا تخيَّلتُ أنّي قلتها
وربّما كل شيء كان ومايزال مجرّد خيال محض
جنون شاعر
وأنّ لا حرب هنا أو هناك
ولا حبيبة أيضاً.

.....

الأطفالُ الَّذين يولدون في ليالي الحزنِ لا تنبتُ لهم أجنحة
صباحات مدن الحرب رماديّة تميل إلى الحمرةِ وبعض الاصفرارِ
الجدّات يمارسن صلوات تلو صلوات
تبدو وجوهُ الملائكة شاحبةً عند الظَّهيرةِ
في بلادِ الحربِ يحاولُ الشّجر أن يحتفظَ ببعضِ ألوانِهِ
تمدُّ النَّخلةُ صدرَها المثقلَ بالرَّمادِ
القليلُ من خمرِ التَّمرِ لا يكفي لتشعرَ بالنُّعاسِ للحظةٍ
تخافُ الأحلامُ التّجوالَ في رؤوسِنا
الموجُ ينتظرُ المساءَ ليتدثَّر ببعضِ الظّلمةِ
تضعفُ كلماتي
يضعفُ عقلي.
.....

تبرقُ الشَّمسُ في نهاراتِ القحطِ
في اللّيالي الباردة لا يظهرُ ثديها قبلَ الغروبِ
تغلقُ الحاناتُ مبكّرةً
تتعلَّقُ الأرصفةُ بأملِ عودةِ النَّهارِ
خاوية مدن تتدثَّر بالسَّرابِ
تخافُ الحربَ
تدعو الشّعراءَ لنسج قصيدة سلام
وإلى العشّاق بعناقاتٍ حارّة
للبرتقالةِ ثلاثة أجنحةٍ وأربعُ قلوبٍ
يشتهي النّدى بعض الدِّفء
وأنا أشتهي قبلة من شفتيها
كان فمي ملذّتها وصدرها .. أفرُّ إليه لساعاتٍ طويلةٍ
نعشقُ اللَّيلَ الطَّويل
لا يرهبنا كل ضجيج الصَّواعق في الخارج
ضجيجُ الحربِ مخيفٌ لا يشبهُ ضجيجَ العواصفِ
يمسكُ الموتَ بقبَّعتِهِ الأنيقةِ
نضحكُ له
يفعلُها بقسوةٍ رغمَ أنّنا ننتظرُهُ
نظنُّهُ صديقنا .
.....

من الأفضلِ ألّا نفكّرِ في المكانِ الّذي سنموتُ فيهِ
لستُ متيقِّناً أنَّ وردةً تنبتُ الآنَ على قبرِ البردوني
تمنّى ذلكَ مرات عديدة
تخيَّل لونها جذّاباً ومختلفاً
لذلك لم يقطفْ وردةً في حياتِهِ
فتحت الحرب فمها
أكلت أحلام وخيالات الأحياء
سبع سنوات عجاف ثمّ تتلوها سنون قحط
سمعتُ أنَّ الشَّمس ستسمّي نفسها 'منيرفا'
لا أدري ما دافعها لهذا الاسم
عشر ثوان من الصّمتِ أرجوكم

تحاولُ النّبتاتُ المتسلّقةُ النّزولَ
تمسكُها الجدرانُ بقوَّةٍ
تأتي قذيفةٌ حارقةٌ من السَّماءِ
يحترقُ ما بقي من رفاتِ البردوني .

.....

صامتةٌ تظلُّ الرّغبة
يتيمةٌ وصغيرةٌ
المسألةُ أكبر من الفصولِ الأربعة
ثمّ تأتي اللَّحظةُ
بنظرةٍ مقصودةٍ أو غير مقصودةٍ
تنفجرُ براكينُ الشَّوقِ من أوَّلِ ملامسة للأصابع
كيفَ نسقي الرّغبة ؟
كثيرةٌ هي الأسئلة منذُ الخليقةِ الأولى
كان آدم ساذجاً رَغمَ أنّ اللهَ علَّمه كلَّ الكلمات
كانت حواء شجاعةً
اقتربت
ابتسمت
لعب النَّسيمُ بشعرِها
انتبهت حواء إلى التّفاحة
فكانت أوّل قصيدة
لذّة ثمّ بهجة العناقات
هنا الأمر أكثر تعقيداً
في هذه المدينة
كثيرةٌ أشجارُ التّفاح البلاستيكية
قليلةٌ الأشجار المبتهجة
هي من يجب أن يبتكرَ أشياء أخرى
أو تكونَ أكثر شجاعة
أنا أشعر بالخوفِ
كلّ لحظة يزداد أكثر وأكثر
.....

مرهقون
لا يكونون كما هم
أولئك الّذين يعودون من بوَّابةِ الموتِ
كأنّهم أحياء موتى
أهي لعبة الموت ؟
يضغط بأصابعِهِ السَّبع
يفتحُ فاه
يحدِّق بعيونِهِ التّسع
ثمّ يرخي قبضته
يمتطي خيوله ويرحلُ من أصغرِ نافذة
يصبحُ النّاجي ضحيّة مزحة أو خطأ.

.....

أحبُ أن أعانقَكِ وأنا ألبسُ الأزرقَ
أنتِ في الوردي المحمر
ونحتسي من نبيذِ بوردو
قنينةً معتَّقةً
لتكن السَّماءُ رماديَّةً
واللَّيلة طويلة لا تنتهي
وإن انتهت نسدلُ السِّتارةَ الخشنة
تكفينا ثلاث شمعات
ووردة مبتسمة
الأرجيلة تفوحُ برائحةِ الفراولة
لنتعرّق
لنغرق
لنفعلها مرات ومرات
والبَخورُ يحترقُ أيضاً
لتكن
.....
وليست ليلة واحدة.

حميد عقبي

مخرج وكاتب سينمائي ومسرحي، فنان تشكيلي، باحث بمركز جامعة كون النورماندي بفرنسا.
عضو في عشر جمعيات فنية وسينمائية فرنسية وأوروبية.
نشر ثلاثين كتابا إلكترونيا وورقيا في مجال النقد السينمائي والأدبي ومجموعتين قصصيتين، ونصوصا مسرحية.
شارك وعمل عشرة معارض تشكيلية في فرنسا.
صدر له كتاب باللغة الفرنسية بعنوان مدخل لفهم السينما الشعرية.
أخرج وأنتج ثمانية أفلام سينمائية قصيرة شاركت في عشرات المهرجانات العربية والأوروبية
مؤسس المنتدى العربي الأوروبي للسينما والمسرح وقام بأربعمائة نشاط وندوة في مجال السينما والمسرح والأدب والفكر وأصبح المنتدى مؤسسة ثقافية وفنية وأكاديمية تجمع بين الثقافة والفنون العربية والأوروبية، ومركز بحثي حضاري مهم يستضيف مستشرقين وباحثين من مختلف أنحاء العالم.
رسم أكثر من مائتي لوحة تشكيلية وستقام له عدة معارض في عدة عواصم أوروبية.
له خمسة وعشرون نصا مسرحيا مكتوبا وستنفذ خمسة أعمال مسرحية له خلال 2023 بالتعاون مع عدد من المخرجين والمخرجات في فرنسا والعالم العربي.
نشرت له أكثر من ألف مقال ودراسة بعدة صحف دولية وعربية ويمنية.